قضية

«المعركة بين الحروب»... استراتيـ

محمد بدير

خلال العام الأول لتسلمه منصبه رئيساً لأركان الجيش الإسرائيلي، ألقى غابي أشكنازي كلمة مطولة أمام معهد أبحاث الأمن القومي في جامعة تل أبيب فصّل فيها رؤيته لمستقبل الجيش على صعيد البنية والوظيفة. كان ذلك في خضم حالة الإنكسار التي ألمت بإسرائيل جيشاً ومجتمعاً عقب حرب تموز 2006، مما استدعى أن تتمحور مهمة أشكنازي حول إعادة ترميم الجيش واستعادة ثقة الجمهور به. استعار رئيس الأركان في حينه (2007/11/12) مقولة المنظّر العسكري الألماني الشهير، كارل فون كلاوزفيتش، ليوصّف ما ينبغي أن يكونه الجيش الإسرائيلي كأحد أبرز العبر التي جرى استخلاصها من الحرب: «على الجيش أن يكون دائماً في أحد وضعين: إما في حالة حرب وإما يستعد لها».

> تل أبيب تقر بعجزها عن إحباط عزم المقاومة على معاظمة قدراتها

جَهد أشكنازي لترجمة رؤيته من خلال مشاريع تجهيز وتدريب قيل إن الجيش الإسرائيلي لم يشهدها منذ سبعينات القرن الماضي، أي منذ صدمة «حرب يوم الغفران»، وهي مشاريع لا تزال قائمة في الجزء الأكبر من زخمها حتى اليوم. بيد أن أشكنازي، ومن ورائه قادة المؤسسة الأمنية الإسرائيلية، أدركوا سريعاً أن الثنائية التي تنطوي عليها مقولة كلاوزفيتش لوضعية الجيش (إما الحرب أو الاستعداد لها) غير كافية لتأمين الرد المناسب لنوع محدد من التهديدات المحدقة بإسرائيل، وهو «تعاظم» قوة أعدائها خلال فترة «ما بين الحروب». وما زاد هذا الإدراك حدّة هو وقائع الحرب التي كانت إسرائيل قد خرجت منها للتو، وخبرت فيها ما لم تكن تتوقعه من مفاجآت أعدتها لها المقاومة في لبنان. بعبارة أخرى، اكتشفت إسرائيل ما بعد الحرب أن المقاومة كانت قد سبقتها بسنوات في تبني مقولة كلاوزفيتش، وأنها، منذ انتهت وضعية القتال عندها إلى تحرير عام 2000، دخلت من دون تلكؤ في وضعية الاستعداد للحرب المقبلة، فأطلقت مسارات محمومة على درب «تعاظم القوة» وأذاقت إسرائيل بعض بأسها في صيف 2006.

ما بعد الحرب، لم تكن تل أبيب في حاجة إلى جهد استخباري استثنائي لتستنتج أن المقاومة ستعيد إطلاق مسارات بناء القوة الخاصة بها بوتيرة أكثر سرعةً وأوسع حجماً وأحدث نوعاً. بل إن الاستحقاق الذي وجدت إسرائيل نفسها أمامه هو عزم المقاومة المعلن على حيازة قدرات تسليحية استراتيجية من النوع الذي أطلقت عليه تل أبيب عبارة «أسلحة كاسرة للتوازن». وفي ضوء إقرار تل أبيب الضمني بعجزها عن إحباط هذا التوجه للمقاومة بوسائل سياسية أو ردعية، كان لا بد من اجتراح استراتيجية جديدة ـ قديمة هدفها مواجهة الاستحقاق المتمثل بتعاظم قدرة الأعداء، خصوصاً على الصعيد «النوعي». ووَجْهُ القِدَم في هذه الاستراتيجية هو أن إسرائيل طالما مارست سياسة الهجمات أو الاعتراضات الوقائية ضد مشاريع بناء القوة الخاصة بأعدائها عندما قدرت على ذلك، وأبرز الأمثلة على ذلك مهاجمة المفاعلين النوويين العراقي والسوري (1981 و2007)، وكذلك السيطرة على السفن التي كانت تقل السلاح للمقاومة الفلسطينية (سانتوريني، كارين إي 2001).

أياً يكن، بدأت تبرز، مطلع العقد الجاري، أصوات داخل الجيش الإسرائيلي تدعو إلى بلورة نظرية قتالية متناسقة ومتكاملة على المستويين العسكري والقومي تُعنى بفترات ما بين الحروب، وترى في هذه الفترات ساحة معركة متواصلة بكل معنى الكلمة. وكان أكثر هذه الأصوات وضوحاً صوت رئيس قسم التخطيط الاستراتيجي في شعبة التخطيط في الجيش العقيد شاي شبتاي. الأخير قدّم في مقالة نشرتها مجلة «معراخوت» (تشرين الأول 2012) التي تصدر عن الجيش تصوراً أولياً لهذه النظرية التي أطلق عليها «المعركة بين الحروب».

ووفقاً لهذا التصور، فإن المعركة بين الحروب هي عبارة عن «مسار متحرك يتم فيه تطوير واستخدام وسائل من مجالات مختلفة (قانون دولي، إعلام، ديبلوماسية، اقتصاد، فضلاً عن القوة العسكرية) بغية إرباك تعاظم العدو والحفاظ على الردع وتعزيز شرعية إسرائيل وأعمالها تمهيداً لاحتمال نشوب حرب في المستقبل»، على أن تتداخل جهود أجهزة وهيئات مختلفة لتحقق هذه الأهداف.

إلا أن التصور المقترح لم يصل إلى طموحه الجامع، إذ بقيت سائر أجهزة وهيئات «الدولة» بعيدة عن تبنّيه، فيما بادر الجيش إلى تلقفه في إطار عملي يخدم رؤيته الاستراتيجية الجديدة. وهكذا بدأ يتم التداول بمصطلح «المعركة بين الحروب» (أو بأحرفها المختصرة: «مبام») في أوساط القيادة العسكرية الإسرائيلية بعد أن لقي هذا المفهوم تأييداً من قيادة الجيش العليا، وخصوصاً رئيس الأركان السابق بيني غانتس ونائبه (في حينه) رئيس الأركان الحالي غادي آيزنكوت. وفي طوره المتبلور داخل المؤسسة الأمنية، جرى التعريف بمفهوم «المعركة بين الحروب» بأنه «سلسلة متصلة من العمليات الهجومية المخفضة الوتيرة التي تقع في فترة الهدوء وروتين الأمن الجاري ما بين الحروب الكبرى» (هآرتس 2013/8/10). على أن الغاية منها إدارة الصراع مع القوى المعادية لإسرائيل في إطار العمل على: أولاً، إبعاد موعد الحرب الكبرى المقبلة (هآرتس 2013/1/31)؛ ثانياً، التوفير الدائم «للظروف المؤاتية التي تجعل الحرب الكبرى، المرتفعة الوتيرة ــ عندما تندلع ــ ممكنة وسهلة وسريعة الحسم» (مجلة معراخوت، هذا التقدير شكّل ويشكّل أرضية لبلورة خيارات عملانية إسرائيلية تستهدف قدرات الحزب الاستراتيجية. وتتبدّى الترجمة العملية لهذا الخيار بالاعتداءات التي تشنها إسرائيل في الساحة السورية.

وفي السياق نفسه، كان من الطبيعي أن تدرس إسرائيل توسيع دائرة اعتداءاتها لتشمل الساحة اللبنانية، وهو ما حاولت ترجمته مطلع 2014، عندما استهدفت نقطة محدَّدة في منطقة جنتا على الحدود اللبنانية ـ السورية. وردّ حزب الله في حينه بتفجير عبوة ناسفة استهدفت دورية إسرائيلية في منطقة مزارع شبعا. ويبدو أن إسرائيل فهمت في وقتها الرسالة وأدركت أن الحزب عازم على الرد على أي محاولة لتوسيع دائرة الاعتداءات في اتجاه لبنان، فلم تتكرّر الاعتداءات على الأراضي اللبنانية حتى حينه.

كذلك وسعت إسرائيل دائرة اعتداءاتها لتشمل كوادر لحزب الله في سوريا، أحياناً، الأمر الذي استوجب رداً في مزارع شبعا.

لكن المشكلة في تل أبيب أن هذه الاستراتيجية لم تحقق ما كان يؤمَل منها، وهو ما عبّرت عنه اعترافات كبار القادة الإسرائيليين، بمن فيهم بنيامين نتنياهو الذي تحدث عن امتلاك حزب الله المزيد من القدرات التي تشكل تهديداً للعمق الاستراتيجي لإسرائيل، وأن ازدياد خطره على الكيان الإسرائيلي من خلال تراكم قدراته وخبرات كوادره ومقاتليه.

ويبدو أن الرسائل التي وجهها الأمين العام للحزب قبل أسابيع عندما تحدث عن استهداف منشآت نووية في العمق الإسرائيلي، تندرج ضمن إطار ردع العدو عن شن اعتداءات إسرائيلية محددة في الساحة اللبنانية قد تتدحرج نحو مواجهة واسعة.

ومع التأكيد أن ردود حزب الله السابقة حققت ما كان يؤمَل منها لجهة تحييد الساحة اللبنانية، حتى حينه، يبدو أن هناك مستجدات في الحسابات الإسرائيلية باتت تستوجب ارتقاءً مضاداً في أدوات الرد والردع. وتقوم هذه الحسابات على أن أي إنجاز مفترض لجيش العدو باستهداف قدرات حزب الله في لبنان، أو أي من كوادره الموجودين على لوائح الاستهداف، بات يستأهل التكيف مع مستوى

حزب الله يمتلك اسلحة كاسرة للتوازن كان يُفترض بـ«المعركة بين الحروب» ان تحبط حيازته لها (أ ف ب)

معادلة «خارج المزارع»: حزب الله يقلب طاولة القرار في تل أبيب

بات متيقناً لدى أعداء حزب الله وحلفائه وأصدقائه، أن التزام الأمين العام للحزب السيد حسن نصر الله، الردّ المباشر والقاسي و«خارج مزارع شبعا»، بداية مرحلة جديدة في معادلات الصراع مع العدو، وترجمة لقرار بهدف تحقيق نتيجة من اثنتين: ردع العدو عن أصل الاعتداء، أو تدفيعه أثماناً مؤلمة، كبديل من المعادلة التي يحاول فرضها على المقاومة بشنّ اعتداءات متقطعة، من دون أثمان مؤلمة

علي حيدر

محاولة اكتشاف أهداف وسياق المعادلة التي أعلنها السيد حسن نصر الله أخيراً، تستوجب فهم ما يخطط له العدو من اعتداءات وما يستند إليه من تقديرات. كذلك إن محاولة اكتشاف المعادلات أو الوقائع التي يحاول العدو فرضها تستوجب استخلاص ما يستند إليه من تقديرات إزاء حزب الله والبيئة التي تؤثر بخياراته.

الواضح أن هناك رؤية متجذرة في الوعي الإسرائيلي يُعبَّر عنها في الخطاب السياسي والإعلامي، وتحضر أيضاً في التقديرات الاستخبارية وفي مقاربات المعلقين المختصين، تقوم على مفهوم مفاده أن ليس من مصلحة حزب الله، فيما يخوض معركة وجود ضد الجماعات التكفيرية والإرهابية في سوريا ولبنان، فتح جبهة أخرى مع إسرائيل. سواء كان ذلك، بمبادرة منه، أو كرد الفعل على ضربات يشنها الجيش الإسرائيلي، وقابلة للاستيعاب (بنظر العدو)، سواء تلك التي تستهدف قدرات المقاومة الاستراتيجية أو كوادره في لبنان وسوريا.